

1612 - وما زال يخيب مخطط يعلمنا؟؟ (6)

شيء من الفوضى، وإفافة من الذهول، وإلضاح الحلم  
أولاً:

الفقرة (86) "حوار الأصيل" (من الأصداء)

إنه جارنا فنعم الجيرة ونعم الجار. عند الأصيل يتربع  
على أريكة امام الباب متلفعا بعباءته، بذلك يتم للميدان جلاله  
وللأشجار جمالها، وعندما تودع السماء آخر حداة يرجع أبناؤه  
الثلاثة من أعمالهم. وعشية السفر إلى الحج نظر في وجوههم  
وسألهم: "ماذا تقولون بعد هذا الذى كان؟" فأجاب الأكبر: "لا أمل  
بغير القانون" وأجاب الأوسط: "لا حياة بغير الحب". وأجاب  
الأصغر: "العدل أساس القانون والحب". فابتسم الأب وقال: "لا بد  
من شيء من الفوضى كي يفيق الغافل من غفلته". فتبادل  
الاخوة النظر مليا ثم قالوا فى نفس واحد: "الحق دائما معك".

النقد الباكر (أصداء الأصداء: 1996)

قصيدة أخرى يتم فيها محفوظ الحضور الحيوى لهذا الأب الحكيم الجالس  
فى جلال الميدان أمام جمال الأشجار، ثم نجد أنفسنا فى مواجهة الأسئلة "غير  
المستعصية" (قارن فقرة 82 حيث تمت الإجابة عن الأسئلة "المستعصية" بالصمت  
اليقين) أسئلة تبدو سهلة، وإجابات تبدو بديهية، إلا أن المسألة ليست هكذا تماما، إذ  
مهما كانت الإجابات محددة، حتى بموافقة الحكيم المزمع على الرحيل (عشية السفر  
للحج، وأيضا الوقت عند الأصيل) فإنه يستحيل الاطمئنان إلى مجرد تحديدها "هكذا" لا  
بالقانون، ولا بالحب، ولا بالعدل أساس كل من القانون والحب، وقد شعرت أن هذه  
الإجابات هى أشبه بالشعار منها إلى الإجابة، وكأننا نقول: الحب هو الحل، أو العدل  
هو الحل، شيء أشبه بقولنا "الإسلام هو الحل"، أو "الديمقراطية هى الحل"! لا شك أنها  
قيم جيدة لكنها كلمات زنانة محكمة فى ظاهرها فحسب، أما الأهم من الرد الحاسم

لا بد من شيء من  
الفوضى كك يفيق  
الغافل من غفلته

فالفوضى فك  
ذاتها ليست خلاقية،  
لكنها تكون  
كذلك إذا تطورت  
إلى تشكيل إبداع  
جديد

وتعبير "شكك من  
الفوضى" لا يخفف  
من رعب المخاطرة،  
لكنه ينبه إلى سوء  
مآل التماكد فك  
مرحلة الفوضى بما  
يؤكد إلى التفسخ  
العقد على أحد  
تشكيل أو حتى  
على الرجوع إلى  
الوضع القديم

والوضوح الجاهز فهو الاعتراف بأن ثمة مساحة رحبة تقع وسطها كل هذه القيم، مساحة تمتليء بقيمة أخرى مجهولة، لكنها فاعلة وحقيقية وضرورية، ولأنها مجهولة، فهي لا يمكن أن تصاغ في قانون، أو تعريف، أو شعار يتداخل مع هذه الردود، وفي نفس الوقت هي حاضرة وحتمية كما ذكرنا، هذه القيمة أسماها الأب "الفوضى"، والأهم في حدس محفوظ هنا أنه لم يجعل هذه المساحة ملاذا بعيدا عن القانون، أو مهريا من القيم المحددة، بل جعلها وسيلة إفاقة من الغفلة، حتى لا يستريح الناس إلى ما يتصورون أنه مريح جاهز، شيء أقرب إلى التوصية المباشرة بالقانون الداخلي الذي يؤكد "أن الإنسان على نفسه بصيرة، ولو ألقى معاذيره" وهذا الحدس أيضا يتداخل بشكل أو بآخر مع الإنجازات الأحدث لعلم الشواش والتركيبة، الذي أصبح يحترم الفوضى ويتعامل معها بقوانين تفيق من الغفلة فعلا، وتقلل من غلواء تقديس التحديد الخادع.

\*\*\*

#### التحديث (يناير 2012)

لا أبالغ فأقول إن ورود كلمة الميدان هنا لها دلالة خاصة أو أن لها أدنى علاقة بميدان التحرير، ومع ذلك فلا أريد أن أخفي، وأنا الفلاح، أن التربع على الباب من أب طيب مثل هذا، لا يكون عادة في قريتنا في ميدان، وإنما على مصطبة أمام باب الدار في حارة أو شارع، أو في حوش الدار المتسع الرحيب، ومع ذلك ذكر محفوظ أنه: "بذلك يتم للميدان جلاله وللأشجار جمالها"، ولعلها مصادفة تستلقت النظر، لكنني أظل مصرا على رفض ما خطر لي، وإنما ذكرته ليقبله من شاء على مسؤوليته.

النقطة بعد ذلك جاءت سريعة، حيث كان الأب الطيب أكثر وعيا بحتم النهاية، فانتقل الوقت إلى عشية السفر للحج، إذن فهو الحكيم الذي يعرف أن لكل شيء نهاية، وليس الكبير الذاهل في وهم الخلود، وبالتالي يحاول هذا الحكيم أن ينبه الشباب إلى مسؤوليتهم بعد غيابه وتوقعه أن ما كان ويكون به من الرسائل ما يعينهم على حمل الأمانة "بعد أن ينتقل إلى الحج أو إلى ربه" وعشية السفر إلى الحج نظر في وجوههم وسألهم: "ماذا تقولون بعد هذا الذي كان؟" وهو لا يحدد "الذي كان"، فيقول الشباب كلاما مفيدا مباشرة سهلا صحيحا، لكنه كلام، ويبدو أن الجار أو الأب الحكيم يخشى عليهم من قلة الخبرة، والتوقف عند هذه الإجابات المباشرة السهلة، دون معرفة ما يلزمها من مخاطرة التفكك المرحلي الضروري لتحقيق التشكيل الجديد الذي هو قادر أن يحيل ما أعلنوه من شعارات إلى ثورة مبدعة يتوقف تحقيقها على النجاح في المرور بمرحلة الفوضى التي خففها الحكيم بقوله "شيء من الفوضى"، وأحسب أن هذا التعبير هو الأكثر تناسبا مع الفوضى التي هي مرحلة هامة من مراحل الإبداع، وأحسب أنه تعبير أكثر واقعية من تعبير كونداليزا رايس عن "الفوضى الخلاقة"، فالفوضى في ذاتها ليست خلاقة،

وأنا أتابع ما لاج لنا  
فك الأيام الأولاد  
من الثورة خيل إلد  
كأن الحلم تحقق  
بسحر خفف، فرحنا  
نندفع وراء شبابنا  
الذين ظهروا  
وكانهم فتحوا لنا  
أبواب الجنة، فكأننا  
ظلمنا من البهجة  
والمفاجأة معاً، حتى  
توقف السعد  
الضروك لمواصلة  
الحياة "كف الناس  
عن البيع والشراء"،  
وكانهم وصلوا إلد  
غاية المراد

لكنها تكون كذلك إذا تطورت إلى تشكيل إبداع جديد، كما جاء في النقد الباكر، وتعبير "شئ من الفوضى" لا يخفف من رعب المخاطرة، لكنه ينبه إلى سوء مآل التمداد في مرحلة الفوضى بما يؤدي إلى التفسخ العصي على أي تشكيل أو حتى على الرجوع إلى الوضع القديم.

#### ثانياً: الفقرة (83) "الذكرى" (من الأصداء 1994)

في يوم السوق بحارتنا اخترقت الجموع امرأة عارية تتهادى، تسير في ترفع وتذيب مفاتها الصخور، كف الناس عن البيع والشراء ووقفوا ينظرون بأعين ذاهلة. كذلك مضت حتى غيبتها المنعطف الأخير، وأفاق الناس من ذهولهم فركبتهم حال جنون واندفعوا نحو المنعطف، فتشوا في كل مكان ولكنهم لم يعثروا لها على أثر.

كلما خطر ذكرها على القلوب أكلتها الحسرة.

\*\*\*\*\*

#### النقد الباكر (أصداء الأصداء : 1996)

يحذق محفوظ - كما ذكرنا كثيراً- لعبة تقديم الفرص الواعدة ثم الإسراع بإخفائها، بنفس القدر الذي يتوقف به عند اللحظات العابرة الدالة والملوحة، وهذه المرة يقدمها لنا في صورة امرأة مترفعة فاتته، وعارية أيضاً، هل هي الحقيقة البسيطة المجردة المليئة بالوعد والتكامل؟

النظرة الأولى المترفعة التي لا تحتاج إلى ستر أو ادعاء تقول إنها فاتتة في ترفع خليك بقيمتها، ولم ينقص العرى من هذه الفتنة المتعالية، بل زادها جمالا؟ وهي بهذه الصورة، تلوح لتذكرك، تظهر لتختفي، تذكرنا أنها موجودة לנוاصل السعى نحوها، لا لنصل إليها، وقد تأتي لحظات أو فترات إبداع أو نبوة أو كشف، فتمكث معنا أطول قليلاً، لكنها سرعان ما تختفي في المنعطف الأخير، تختفي لا تمحي، ولا يبقى علينا إلا أن نواصل السعى طالما أننا رأيناها رأى العين هكذا: فاتتة مترفعة واعدة رائعة.

#### التحديث (يناير 2012)

في النقد الباكر كان التركيز على تلك الفاتتة المترفعة العارية، باعتبارها "الحقيقة" التي ننجذب جميعاً نحوها بشغف المعرفة وبهجة الوعد، ولم يخطر ببالي أنها قد تكون أمل الجماهير، أو حلم "الثورة"، لكنني وأنا أتابع ما لاح لنا في الأيام الأولى من الثورة خيل لي كأن الحلم تحقق بسحر خفي، فرحنا

ونظل نحن فك  
ذهولنا نكور نفس  
الدور "السكروبيت"  
كون نقلة واقعية  
تفينا من ذهولنا  
حتك نهود  
للتزاماتنا الموموز لها  
بالبيع والشراء،  
ونظل نبحت  
ذاهلين عن الحلم  
المختفك

ندفع وراء شبابنا الذين ظهروا وكأنهم فتحوا لنا أبواب الجنة، فكأننا ذهبنا من البهجة والمفاجأة معاً، حتى توقف السعي الضروري لمواصلة الحياة "كف الناس عن البيع والشراء"، وكأنهم وصلوا إلى غاية المراد، فلماذا الجهد، ولماذا السعي وما هي الجميلة تذيب الصخور بمجرد مرورها بخيالنا الذي أصبح واقعاً، فهو الذهول، فنتسرب منا الجميلة بنفس سرعة ظهورها، ونظل نحن في ذهولنا نكرر نفس الدور "السكريبت" دون نقلة واقعية تفيقنا من ذهولنا حتى نعود لالتزاماتنا المرموز لها بالبيع والشراء، ونظل نبحث ذاهلين عن الحلم المختفي.

أتوقف لأدعو الله ألا يكون حدس محفوظ قد تنبأ بنهاية نحاول جميعاً أن نتجنبها الآن حتى لا تختفي الجميلة "الثورة" في منعطف مجهول، فنتصور أنها كانت وهماً، أو حلماء، أو اختبارة، أو مؤامرة؟ ولا يبقى إلا أن نواصل البحث بأعين ذاهلة "ولا نعثر لها على أثر".

لا يا عم محفوظ، حنانيك، جميلتنا هذه كلما خطر ذكرها على القلوب سعت إليها لتعيدها من المنعطف إلى الميدان، نقرح بنا ونحن نعاود البيع والشراء.  
ولم لا وأنت نتق فينا بكل عناد التفاؤل وألمه وبهجته؟

\*\*\* \*\*

## الكتاب الذهبي للشبكة

للأطباء النفسيين

<http://www.arabpsynet.com/propositions/ConsPsyGoldBook.asp>

لأساتذة و أخصائيج العلوم النفسية

<http://www.arabpsynet.com/propositions/ConsGoldBook.asp>

شارك برأيك لتطوير الموقع

formulaire / نموذج / form

<http://www.arabpsynet.com/propositions/PropForm.htm>

حتك لا تختفي  
الجميلة "الثورة" فك  
منعطف مجهول،  
فنتصور أنها كانت  
وهماً، أو حلماء، أو  
اختبارة، أو مؤامرة؟  
ولا يبقى إلا أن  
نواصل البحث بأعين  
ذاهلة "ولا نعثر لها  
على أثر